٧

ابن هبة الله الدَّينوري نحوياً

Ibn Hibatullah al-Dinuri grammatically

الأستاذ المساعد الدكتور

جاسم محمد سلمان

الجامعة العراقية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

Assistant Professor Dr.

Jassim Mohammed Salman

Iraqi University / College of Arts / Department of Arabic Language

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

يهدف هذا البحث إلى التعريف بشخصية ابن هبة الله الدينوري النحوية وكتابة (ثمار الصناعة في علم العربية) وأهميته في مجال الدراسات النحوية، حيث تميَّز ابن هبة الله الدينوري بشخصية نحوية تركت الأثر في اللاحقين فأدوا منه كثيراً.

جاء هذا البحث ليكشف لنا عن جهوده في مجال الدراسة النحوية وبيان المذهب النحوي لهذا العالم الجليل عن طريق معرفة موقفه من المسائل الخلافية والمصطلحات النحوية والعبارات التي استعملها، فذهبت هذه الدراسة إلى أنَّه كان نحوياً بصرياً سائراً على نهج البصريين قائلاً بقولهم محتَّجاً بأدلتهم مستشهداً بشواهدهم وهذا ما سيلاحظه القارئ في صفحات هذا البحث.

Abstract

This research aims to define the grammatical personality of Ibn Hibat Allah Al-Dinori and his writing (The fruits of the industry in the science of Arabic) and its importance in the field of grammatical studies, where Ibn Hibat Allah Al-Dinouri was distinguished by a grammatical personality that left an impact on the later ones, and they performed a lot from him.

This research came to reveal to us his efforts in the field of grammatical study and showed the grammatical doctrine of this venerable scholar by clarifying his position on controversial issues and the grammatical terms and phrases he used. The reader will notice it in the pages of this research.

المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا المصطفى، وعلى آل بيته وصحابته أهل الهُدى والتقى والوفى.

أمَّا بَعدُ:

فقد أثنى العلماء على النحو فهو نصاب العلم ونظامه، وعموده وقوامه، وميزان الكلام وحليته، وجماله وزينته، لا يستغني عنه متكلِّم، ولا يليق الجهل به بعالمٍ ولا متعلم ولأهميته هذه فقد ألّف العلماء فيه كتباً مبسوطة القواعد، موصلة إلى المقاصد، وجعلوها المرجع لتعلمه، والدليل لمعرفته، كـ(الكتاب) لسيبويه، و(المقتضب) للمبرِّد، و(الأصول في النحو) لابن السرّاج، و(المفصَّل) للزمخشري، و(الكافية) لابن الحاجب، و(شرح الكافية) لرضي الدين الأستربادي، وكتب ابن مالك كـ(التسهيل والكافية الشافية) وغير هذه الكتب كثير، فكتب النحو المقرّة المبسوطة أكثر من أنْ تُحصى ويأخذها الحصر.

ولما للنحو من أهمية، ولما للكتب التي ذكرناها من تلك المنزلة، ارتأيتُ أن يكون موضوع الدراسة والبحث هو دراسة عالم من علماء النحو المتقدمين والتعرُّف على جهوده في مجال الدرس النحوي فاخترت ابن هبة الله الدينوري الملقَّب بالجليس النحوي ليكون مجالا لدراستي هذه كاشفاً عن جهود متميزة لهذا العالم الجليل فوسمت دراستي وبحثي هذا بـــ (ابن هبة الله الدينوري نحويا).

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تتكوَّن من تمهيد ومبحثين وخاتمة تناولت في التمهيد حياة الدينوري أمّا المبحث الأول فذكرت فيه الشخصية النحوية للدينوري المتمثِّلة بردوده واعتراضاته و توجيهاته وترجيحاته واختياراته.

في حين سلَّط المبحث الثاني الضوء على المذهب النحوي لابن هبة الله الدينوري

وجاءت الخاتمة لتضم أهم ما توصلَّت إليه هذه الدراسة من نتائج.

وختاماً أسأل الله العلي القدير أنْ يوفقني وجميع المسلمين لما يحب ويرضى وأنْ يأخذ بنواصينا إلى البرِّ والتقوى والصلاح والرشاد والهدى وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأنْ يجنبني الخطأ والزلل إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه، ولا أقول إلاّ ما قاله ابن الخبَّار (ت ٦٣٩هـ): ((ومن عثر لي في هذا الإملاء على عَثرة فليكن العاثر عاذراً، غافراً لِزَلَّها، وساداً لخللها، فإنَّ السعيد من عُدَّت سقطاته....))[1].

التمهيد

ابن هبة الله الدينوري وكتابه ثمار الصناع-ة

ابن هبة الله الدينوري وحياته العلمية:

اسمه: هو أبو عبدالله الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري المعروف بالجليس النحوي[2].

---

(١) توجيه اللمع: ٦١٥.

(٢) ينظر في ترجمة ابن هبة الله الدينوري: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ١٢٣ وبغية الوعاة: ١/ ٤٤٦-٤٤٧، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/ ٥٢٣

مما قيل فيه: إنّه الإمام[1]، النحوي اللغوي[2]، أكثر أبو حيان في التذكرة من النقل عنه[3]. وقال السيوطي فيه: ((نقل عنه ابن مكتوم في تذكرته قوله: إنّ علل النحو المشهورة أربع وعشرون علَّة))[4].

آثاره: أجمعت كتب التراجم التي ترجمت له أنَّ له كتاباً في النحو أسماه (ثمار الصناعة)، ولم تذكر له غيره بيد أن إسماعيل باشا البغدادي صاحب كتاب (هديَّة العارفين) ذكر له كتاباً آخر اسمه (الحروف السبعة في الكلام)[5].

وفي الحقيقة لم أعثر على أي ذكر لهذا الكتاب ضمن مؤلَّفات ابن هبة الله الدينوري عند جميع من ترجم له ولم يرد له ذكر عند الدينوري نفسه في كتابه (ثمار الصناعة في علم العربية) على الرغم من إشارته لكتابين آخرين له ذكرهما في كتابه هذا الأول بعنوان (تصفُّح الجمل) ذكره في موضعين[6]، والثاني بعنوان (اقتراح النجيب) ذكره في موضع واحد في كتابه (ثمار الصناعة)[7]، وهكذا فجمل مؤلَّفات ابن هبة الله الدينوري ثلاثة اثنان ذكرهما هو في كتابه، والأخر ذكره من ترجم له وكتبه هي: (ثمار الصناعة، وتصفُّح الجمل، واقتراح النجيب).

شيوخه: لم تذكر لنا كتب التراجم أسماء العلماء الذين تتلمذ على أيديهم ابن هبة الله الدينوري وأخذ منهم غير أنَّه أشار في صفحات كتابه (ثمار الصناعة) الى اسم أحد شيوخه الذين من المرجَّح أنَّه أخذ عنه وتتلمذ على يديه وهو الشيخ أبو نصر الواسطي صاحب كتاب شرح اللمع، وشرح الجمل[8]، وقد أشار إليه الدينوري في كتابه بقوله: ((وكان الشيخ أبو نصر (رضي الله عنه) يستحسن هذا القول ويفضله على غيره بعد قول سيبويه رحمه الله...))[9]، وقوله ((وقد عوّل الشيخ أبو نصر النحوي رحمه الله على هذه العلَّة في (شرحه للجمل) لا ثقة بها وترجيحاً لها؛ بل لأنَّه كتاب تقريب وإيجاز))[10]

وقوله في توجيه الشاعر:

جزى ربُّه عني عَدِيَّ بن حاتمٍ.....

((ففيه قولان: مبتذل عامٍ، ومُدَّخر خاص.

وهدَّية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ١/ ٣١٠-٣١١، ومعجم المؤلفين: ٤/ ٦٥، والموسوعة الميسّرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: ١/ ٨٢٦.

(١) ينظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ١٢٣

(٢) ينظر: معجم المؤلفين: ٤/ ٦٥

(٣) ينظر: بغية الوعاة: ١/ ٤٤٦، والموسوعة الميسّرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: ١/ ٨٢٦

(٤) بغية الوعاة: ١/ ٤٤٦

(٥) ينظر: هدية العارفين: ١/ ٣١١

(٦) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٣٠٣، ٣١٤

(٧) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٣٦٣

(٨) أبو نصر الواسطي: هو القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي أبو نصر النحوي الضرير، قال عنه ياقوت النحوي: لقي ببغداد أصحاب أبي علي، وتنقل في البلاد، واستوطن مصر، وقرا عليه أهلها وتخرج به ابن باشاذ. من مؤلفاته: صنَّف كتاباً في النحو، وشرح اللمع، وشرح جمل الزجاجي، توفي بمصر. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/ ٢٦٨

(٩) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٢٠

(١٠) م. ن: ٢٧٤

فالأول: إنَّه جاز لضرورة الشعر...، والثاني: ما ذكره شيخنا (رضي الله عنه) وهو أنَّ (الهاء) ضمير (الجزاء) وهو وإن لم يجر له ذكر بمنزلة المذكور....))[1]

فقد ترضى في هذا القول على شيخه وإن لم يصرحِّ باسمه كما أنه ترضَّى عنه في النص الأول مصرحاً باسمه أبي نصر وفي هذا دليل يُرجِّح ما ذكرناه من أنَّ الدينوري قد تتلمذ على يد الشيخ أبي نصر الواسطي وأنَّه قد ذكر كتابه (شرح الجمل) في موضع واحد من كتابه ثمار الصناعة كما أشرنا إليه آنفاً.

وفاته: اختلفت المصادر وكتب التراجم في تحديد سنة وفاته فبعضها أشارت إلى أنَّ وفاته بعد سنة (٤٣٠هـ)[2]، وبعضها أشار إلى أنه توفي بعد سنة (٤٤٠هـ)[3] وأشار كمال إسماعيل باشا صاحب هديَّة العارفين إلى أنَّ وفاته كانت بحدود (٤٩٠هـ)[4]. وهذا الرأي والتاريخ هو الأقرب والمرجَّع لديَّ، فهو عالم من علماء القرن الخامس الهجري.

المبحث الأول
الشخصية النحوية
لابن هبة الله الدينوري

المتصفح والقارئ في كتاب ثمار الصناعة يستطيع أن يلاحظ سمات الشخصية النحوية المتميزة لابن هبة الله الدينوري إذ ضمَّ هذا الكتاب الكثير من الآراء النحوية والتحليلات والتفسيرات والأقيسة، فلم يكن الدينوري يعرض للآراء مجردّة، وإنّما كان يناقش ويحلل وينقد الآراء معتمداً في ذلك كله على ثقافة واسعة ورجاحة عقل، وتمثلت شخصية الدينوري النحوية بما يأتي:

أولاً – ردوده واعتراضاته:

حرص الدينوري على تصحيح الآراء والمفاهيم التي ذكرها النحاة، ولم يكتفِ بالردِّ والاعتراض فحسب بل كان يناقش ويبين ردّه واعتراضه ويقدِّم الدليل والحجة كاشفاً لنا عن شخصية علمية توافق تارة وترد وتُعرض تارة أخرى وتدافع في أحيان وتوضح كل ذلك بعقلية النحوي العالم الذي لا يلقي الكلام جزافاً.

والدينوري إنْ قام بالرد والاعتراض فما قصد الإساءة إلى العلماء أو غمط حقِّهم بل حرصاً منه على إظهار الأصح من الآراء وتكريم المتقدمين من العلماء بأخذ آرائهم ومناقشتها وردّ ما وهموا فيه وبيان ما سهوا عنه دون التقليل والانتقاص من مكانتهم العلمية.

واتخذت ردوده واعتراضاته على النحاة أشكالاً وصوراً متعددة منها:

أ. ردّه واعتراضه آراء مبهمة دون تسمية أصحابها: من ذلك ما ذكره في حديثه عن الأمثلة والأفعال الخمسة ورفضه تثنيتها وجمعها وتأنيثها مع تعليله سبب الرفض إذ قال: ((فالمعرب بالنون: ما أتصل

(١) م. ن: ٢٧٨

(٢) ينظر: الموسوعة الميسّرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: ١/ ٨٢٦

(٣) ينظر: معجم المؤلفين: ٤/ ٦٥.

(٤) ينظر: هدية العارفين: ١/ ٣١٠-٣١١

به ضمير بارز، وهو ضربان: ما حرف مضارعته ياء، وما حرف مضارعته تاء، وتنظمها خمسة أمثلة وهي: (تفعلان ويفعلان ويفعلون وتفعلون وتفعلين) وقد تضلَّل قوم بهذه الأمثلة فزعموا أنَّ الأفعال تثَّنى وتجمع وتؤنَّث وليست كذلك، والذي يظهر فيها من ذلك فهي الضمائر المتصلة بها؛ لأنَّ التثنية والجمع والتأنيث من أمارات الاسم وخواصه التي لا توجد أحكامها إلّا فيه،....))[1]

ب. ردّه على النحاة والتصريح بأسمائهم: ردّ الدينوري ورفض بعض الآراء التي وجد فيها ما يخالف مبدأ الصحة والصواب ولم يمنعه ذلك من التصريح بأسماء العلماء والنحاة الذين ردَّ أقوالهم، ومن ذلك ردّه رأي الأخفش في (حبّذا) إذ قال: ((والأخفش يقول: (حبّذا) يرفع الاسم وينصب الخبر، وهذا القول مما يجب أنْ يتصامم عنه ولا يُتشاغل به لضعفه وركتّه، والوجه أنْ ترتفع المعرفة بعده من حيث إنه المقصود بالمدح كارتفاعه بعد (نِعْمَ)، وتنتصب النكرة على التمييز إنْ كانت جنساً أو على الحال إنْ كانت مشتقة))[2]

ت. ردّه على أصحاب المذاهب النحوية: من ذلك ردّه على الكوفيين قولهم ورأيهم بأنَّ المبتدأ والخبر ترافعا (أي رفع أحدهما الأخر)، إذ قال: ((والكوفيون يجعلون الرافع للمبتدأ الخبر والرافع للخبر المبتدأ، وقد أُلزموا على ذلك تجويز كون الشيء عاملاً في شيء، ومعمولاً له في حال واحدة، فالتزموا هذا وارتكبوه ولم يتحاشوا عنه، وجعلوا شاهدهم على جوازه وصحَّته قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3] فقالوا: إنَّ (أيّا) جازم لـ (تدعوا)، و(تدعوا): ناصب لأيّ، وذهب عليهم أنَّ (أيّا) لم يجزم (تدعوا) بنفسه، بل بحق المشابهة والملاءمة لما هو محمول عليه ومتضمن لمعناه، وهو (إنْ)

فقد صار في رفع المبتدأ أربعة أقوال: قولان قويان، وقول ضعيف، وقول باطل))[4]

ث. رد واعترض القول والتمثيل له: من ذلك ما ذكره في باب دخول الفاء في الخبر إذ رفض دخول الفاء في خبر المبتدأ المتضمن معنى الشرط فقال: ((فإذا كان اسم (إنَّ) أحد هذين على الشرط المذكور جاز دخول الفاء على خبرها؛ لأنَّها لم تُغَيِّر من معنى الجملة شيئاً. ولا يجوز ذلك في أخبار سائر أخواتها، لما تضمَّنته من المعاني البعيدة عن معنى الابتداء، ولو قلت: (الذي إنْ أكرمه يكرمني فمحسن) لم يَجُز؛ لأنَّ هذه الفاء فاء

(١) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٠٨-٢٠٩، وللاستزادة تنظر الصفحات: ٢٢٤، ٢٣٥، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٨٨، ٤٢٢

(٢) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٩٩، وقول الاخفش هذا ينظر في: الأصول في النحو: ١/ ١٤٢، وردود الدينوري على النحاة المصرّح بأسمائهم تنظر في الصفحات: ٢٤٣، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣١٣، ٣١٨، ٤٣٧، ٤٤٧

(٣) سورة الإسراء آية (١١٠)

(٤) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٥٠-٢٥١، وتنظر ردود الدينوري على الكوفيين على سبيل التمثيل في الصفحات: ٣١٣، ٣٦٢

الجواب والاتباع ولا يكون للشرط جزاءان))[1]

ج. رد واعتراض الاستدلال والاستشهاد: من ذلك رفضه ما استدلَّ به الكسائي وإعماله اسم الفاعل في حالة الماضي، حيث قال الدينوري: ((يعمل في الحال الاستقبال دون المضي إلاّ عند الكسائي[2] فإنه يعمله في المضي ويحتج بقوله سبحانه: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾[3]، ولا حجة له في ذلك؛ لأن الكلام خُرِّج مخرج الحكاية للحال كأَنها حاضرة))[4]

ح. رد الاعراب: ردَّ الدينوري الاعراب الذي ذكره النحاة واصفاً إيّاه بالوهم جاء ذلك في تعليقه على إعراب المازني وإجازته النصب في قولهم: (يا ايُّها الرجلُ)[5]

إذ قال: ((والمنادى في قولك: (يا أيُّها الرجلُ): (أيُّ) و(ها) صلة، و(الرجلُ) نعتٌ ومن أجاز نصبه فقد وهم؛ لأنّه المنادى في الحقيقة))[6]

ومثلما تنوعت ردوده صوراً واشكالاً مختلفة تنوعت عباراته في الرد والاعتراض ومن هذه العبارات التي استخدمها الدينوري للدلالة على ردّه واعتراضه ورفضه لما ذكره النحاة: (ولم يرضني ذلك العدد؛ لأن فيه تكلفاً)[7]، و(هو رأي ضعيف)[8]، و(هو قول ضعيف)[9]، و(من ها هنا غلّطنا من يقول)[10]، و(لا اعتداد بها)[11]، و(ليس هذا بمحمود)[12].

و(لا حجة له في ذلك)[13]، و(من ها هنا وهم بعض النحويين)[14]، و(ليس لأحد أنْ يقول في مثل هذه المسألة)[15]، و(ليس بصواب)[16]، و(هو باطل)[17]، و(ليس بجيد)[18]، و(ليس ذلك بشيء)[19].

ثانياً – توجيهاته:

من مظاهر الشخصية النحوية المتميزة لابن هبة

(١) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٦١، وينظر: الإيضاح العضدي: ١/ ٥٥-٥٦.

(٢) رأي الكسائي هذا ينظر في: الإيضاح العضدي: ١/ ١٤٢، والمقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ٥١٢-٥١٣، وشرح المفصل: ٦/ ٧٧، وشرح اللمحة البدرية: ٢/ ٦٠.

(٣) سورة الكهف آية (١٨)

(٤) ثمار الصناعة في علم العربية: ٣١٥، وينظر رد الدينوري على ما استدل به الكوفيون كذلك في ص: ٣٦٢ إذ قال: ((ولا يلتفت إلى استشهادهم بقوله.....))

(٥) رأي المازني هذا ينظر في: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢/ ١٠٧٧، وهمع الهوامع: ٢/ ٤٩، وقد نقل عن الزجاج قوله: ((لم يجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله ولا تابعه أحد بعده)) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢/ ١٠٧٧

(٦) ثمار الصناعة في علم العربية: ٣٥١

(٧) ينظر: م. ن: ١٤٨

(٨) ينظر: م. ن: ١٨٥

(٩) ينظر: م. ن: ٢٠٠

(١٠) ينظر: م. ن: ٢١٣

(١١) ينظر: م. ن: ٢٢١

(١٢) ينظر: م. ن: ٢٤٩

(١٣) ينظر: م. ن: ٢٧٠

(١٤) ينظر: م. ن: ٢٨٠

(١٥) ينظر: م. ن: ٢٩٣

(١٦) ينظر: م. ن: ٢٩٨

(١٧) ينظر: م. ن: ٣٠٢

(١٨) ينظر: م. ن: ٣٤١

(١٩) ينظر: م. ن: ٤٠٤

الله الدينوري توجيهاته ومحاولته إيجاد وجه في العربية لكل ما ذكره النحاة وعدم تخطئتهم لتأثره بهم والتماسه العذر لهم فكانت توجيهاته تظهر في العبارات التي يشرحها ويوضحها أو الآراء التي يناقشها أو المسائل التي يحللها وهي مبثوثة في صفحات كتابه وقلَّما نجد صفحاته تخلو من التوجيه، وقد تنوعت توجيهات الدينوري النحوية تبعاً للمادة التي يتناولها ويوضحها ومن مظاهر توجيهاته:

أ. توجيه إعراب: ومن أمثلة ذلك توجيهه الإعراب في قولهم: (مررتُ به المسكين) إذ قال الدينوري موجهاً هذا القول والاعراب: ((فأمّا قولهم: (مررتُ به المسكين)، فيجوز في (المسكين): الجر على البدل، من موضع المضمر لا على النعت له؛ لما ذكرنا، ويجوز فيه الرفع بالابتداء وتكون الجملة خبراً له مقدَّماً عليه، والتقدير: (المسكين مررتُ به)، ويجوز فيه القطع والنصب بتقدير فعل كأنك قلت: (أعني المسكين)، والرفع بتقدير مبتدأ، كأنك قلت: (هو المسكين)، وهذان الوجهان جائزان في النعت إذا اجتمع فيه شرطان: أحدهما: أن يكون ثانياً أو ثالثاً فما زاد عليه، والآخر: أن يتضمَّن معنى المدح أو الذم، فإنْ سقط الشرطان أو أحدهما بطل القطع ووجب الاتباع، ولا يجوز أن يُقطع ثم يتبع))[1]

ب. توجيه رأي: ومن أمثلة ذلك توجيهه للرأي الصحيح في عامل النصب في المستثنى إذ قال: ((وأصل باب الاستثناء النصب، تقول: (قام القوم إلاّ زيداً) تريد: (استثني زيداً) عند المبرِّد، والرأي الصحيح أنَّ الفعل هو العامل للنصب و(إلاّ) قوّته على التعدِّي كما كانت (الواو) التي بمعنى (مع) الظرفية في باب المفعول معه، ليس في الحروف ما يفعل ذلك غيرهما، إلاّ أنَّ (الواو) تُقوي الفعل الصريح حسب، و(إلاّ) تُقوي معنى الفعل أيضاً، تقول: (كلهم في الدار إلاّ زيداً)، ولا تقول: (زيد في الدار وعمراً) تريد مع عمرو))[2]

ت. توجيه اعتراض: ومن أمثلة توجيهه للاعتراض ما ذكره في رفع الفعل المضارع إذ قال: ((وصار وقوعه بنفسه موقع الاسم يعمل فيه الرفع؛ لأنه معنوي، والفعل معه مجَّرد من العوامل اللفظية، فأشبه الابتداء، فارتفع الفعل من حيث ارتفع المبتدأ، وقلنا (بنفسه) احترازاً من وقوعه مع (أن)، الخفيفة موقع اسم مصدري؛ لأنه هناك منصوب بـ (أن)، ولهذا قال بعض النحويين: إنَّ الفعل المضارع إذا وقع بنفسه موقع الاسم ارتفع، وإذا وقع مع غيره موقع الاسم انتصب، وإذا لم يقع بنفسه ولا مع غيره موقع الاسم انجزم، والاعتراض بارتفاعه ومعه (السين)

(١) ثمار الصناعة في علم العربية: ٤٦٦

(٢) م. ن: ٤٢٩، وقد ذكر الدينوري هنا رأي البصريين ورأي المبرِّد وأغفل ذكر رأي الكسائي ورأي الفراء، وقد ذكر مصنفو الخلاف والنحاة الآراء مجتمعة في هذه المسألة. ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: م (٣٤): ١/ ٢٦١، وأسرار العربية: ١٨٨، وشرح كافية ابن الحاجب: ٢/ ١١٤-١١٥، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: م (٥١) ١٧٤، وشرح ابن طولون: ١/ ٣٩١

أو (سوف) غير مؤثر في صحة ما قلناه؛ لأنهما كالجزء منه قياساً على نظيرتهما وهي لام التعريف؛ فلهذا جاز دخول لام التأكيد عليه ومعه (سوف) في مثل قوله تعالى:﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[1]))[2]

ث. توجيه علَّة: ومن أمثلة ذلك توجيه علَّة اختصاص الجر بالأسماء والجزم بالأفعال حيث قال: ((والجر يختص بالأسماء، والجزم يختص بالأفعال، لأن الجر يكون بعوامل لا تصح معانيها إلاّ في الأسماء، والجزم يكون بعوامل لا تصح معانيها إلاّ في الافعال من أمر ونهي ونفي وشرط. قيل إنّما لم تجزم الأسماء لئلا يجحف بها وتختل إذا جُزمت بذهاب شيئين منها وهما: الحركة والتنوين، ولم تُجر الافعال؛ لأنَّ الجر إنّما يكون بالإضافة، والأفعال لا يضاف إليها وهو قول ضعيف، والزجاجي أخذ بعضه من كلام سيبويه، وأضاف ما لم يُجدِ طائلاً إليه))[3]

ج. توجيه قول: لجأ الدينوري إلى توجيه الأقوال وتوضيحها ومن أمثلة ذلك ما ذكره في حديثه عن (أمْ) المنقطعة إذ قال: ((تقدر بـ(بل) مع همزة الاستفهام؛ لأنك تُضرب بها عن الجملة المتقدمة، وتستأنف استفهام جملة ثانية، وذلك نحو قولهم: (إنّها لإبلٌ أمْ شاءٌ)، فكانَّ هذا القائل شاهد أشخاصاً عن بُعد فتوهَّمها إبلاً، وأخبر بذلك في قوله: إنَّها لإبل،ثم تشكك وجوز ان تكون شاء، فاستفهم في قوله: أم شاء، والتقدير: بل أهي شاء؟ والجواب: (نعم) أو (لا)، وفيها طرف من الإضراب، وطرف من الاستفهام، ومثله قولك: (أعندك زيدٌ أم عندك عمرو) ومثله أيضاً: (هل عندك زيدٌ أم عمروٌ)، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾[4]، وقوله حكاية فرعون:﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾[5]، وقد وقف قوم على (أم) هذه، وأنكر أبو علي (رحمه الله)؛ ذلك لأنَّ فيها معنى الاستفهام فإذا قطعتها عَمّا بعدها واستأنفته دونها أوهمتَ أنه خبر جازم موجب وحكم بات مثبت وليس كذلك))[6]

ثالثاً ترجيحاته واختياراته:

دأب ابن هبة الله الدينوري على ذكر الأصحِّ من الآراء والأصوب من الأقوال في صفحات كتابه فنراه مرجِّحاً لكلام العلماء، وربما يُدلي بدلوه إنْ وجد فيما يناقش ما لا يكفي دليلاً لقبول الرأي المناقش، ونراه

(١) سورة الضحى آية (٥)

(٢) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٤٢-٢٤٣، وما ذكره الدينوري هنا يمثل مذهب البصريين في رافع الفعل المضارع إذ يرون ان الرافع له وقوعه موقع الاسم وهو عامل معنوي كالابتداء في رافع المبتدأ. ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ١١٨-١٢٢. أما الكوفيون فيرون أن الرافع للفعل المضارع هو التجرد عن الناصب والجازم. ينظر الانصاف في مسائل الخلاف: م (٧٤): ٢/ ٥٥١.

(٣) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٠٠، وينظر: الإيضاح في علل النحو: ١٠٢-١٠٧.

(٤) سورة الزمر آية (٩)

(٥) سورة الزخرف آية (٢٥)

(٦) ثمار الصناعة في علم العربية: ٤٨٤-٤٨٥، وينظر: الإيضاح العضدي: ١/ ٢٩١-٢٩٢ والمقتصد في شرح الإيضاح: ٢/ ٩٥٢-٩٥٤

يُبيِّن سبب انتصاره لهذه الآراء أو تلك مقنعاً القارئ بوجوب الانحياز إلى ترجيحه، ولم يكتفِ الدينوري بذلك بل كان يُعدِّل على آراء الآخرين ويرجحها، كاشفاً في ذلك كله عن شخصية نحوية متميزة لا تقبل من الآراء إلاّ ما تراه صحيحاً، وتنوعت مظاهر الترجيح لدى الدينوري لتتمثل بما يأتي:

أ. ترجيح رأي: من ذلك ترجيحه واختياره لرأي أبي علي الفارسي في أنَّ (إمّا) ليست من حروف النسق، قال الدينوري: ((وذكر أبو علي أنَّ (إمّا) ليست من حروف النسق، وهو كما ذكر بدليل صحيح يذكر في موضعه))[1] وقال في موضع أخر: ((وحروف النسق عشرة، حسب ما أوجبه السماع، وأدى إليه الاستقراء، على أنَّ منها واحداً قد أضيف إليها مجازاً وليس منها على الحقيقة، وهو (إمّا) المكررة المكسورة الهمزة، لأنك تقول: (قام إمّا زيدٌ وإمّا عمروٌ)، ولا يخلو من أن تكون قد جعلت الأولى هي العاطفة فيؤدي ذلك إلى وقوع حرف العطف قبل المعطوف عليه، وهو غير جائز، أو تكون قد جعلتها الثانية فتؤدي إلى دخول حرف العطف على مثله لأن معها (الواو) وهو أيضاً غير جائز، فقد صارت حروف النسق بعد التحرير والتحقيق تسعة))[2]

ب. ترجيح مذهب: ومن أمثلة ذلك ترجيحه وموافقته لمذهب البصريين في أصل الاشتقاق، بعد أن عرض لرأي الكوفيين وحجَّتهم، ثم رفض ما استدلَّ به الكوفيون وذكر رأي البصريين واختاره مرجِّحاً قائلاً: ((زعم الكوفيون أنَّ المصادر مشتقة من الأفعال، واعتلوا بأنَّ الأفعال عاملة والمصادر معمولة، وإنَّ العامل قبل المعمول ولا حجة لهم في ذلك؛ لأنَّ الحروف عاملة في الأسماء وفي الأفعال، ثم ليست بالإجماع منا ومنهم قبلها ولا أصلاً لها، واعتقد البصريون أنَّ الأفعال مشتقة من المصادر، وهذا المذهب الصحيح؛ وذلك أنَّ المصادر دالة على العموم، والأفعال دالة على الخصوص، والعموم قبل الخصوص))[3]

ت. ترجيح لغة: ومن أمثلة ذلك ما رجحّه من لغة الفتح في لفظة (عَمْر) في قول أبي الطيب المتنبي[4]:

(١) ثمار الصناعة في علم العربية: ١٧٧، وقد صرّح أبو علي الفارسي بأن (إمّا) ليست حرفاً للعطف إذ قال: ((وليست (إمّا) بحرف عطف؛ لأن حروف العطف لا تخلو من أن تعطف مفرداً على مفرد أو جملة على جملة، وانت تقول: (ضربت إمّا زيداً وإمّا عمراً) فتجدها عارية من هذين القسمين، وتقول (إمّا عمراً) فتدخل عليه الواو ولا يجتمع حرفان لمعنى)) الإيضاح العضدي: ١/ ٢٨٩،وينظر: المقتصد في شرح الإيضاح:٢/ ٩٤٣

(٢) ثمار الصناعة في علم العربية: ٤٧٩، وما ذهب إليه أبو علي الفارسي في كون (إمّا) ليست حرفاً للعطف، هو مذهب يونس وابن كيسان وابن مالك، وينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٢٠٢، وشرح الكافية الشافية: ١/ ٥٤٩

(٣) ثمار الصناعة في علم العربية: ١٧٢، وقد ذكر مصنفو الخلاف هذه المسألة في مصنفاتهم، ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: م (٢٨): ١/ ٢٣٥، والتبيين على مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: م: (٦): ١٤٣، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: فصل الفعل: م(١): ١١١.

(٤) ينظر: ديوان المتنبي: ١/ ٣١٤، والأمالي الشجرية: ١/ ٣٥٢

عَمْرَك الله هل رأيت بُدُورا..... فقال مرجحّاً لغة الفتح: ((وفي هذا الاسم لغتان: (ضم العين، وفتحها)، إلاّ أنه قد غلب عليها في هذا الباب الفتح))[1]

ث. ترجيح توجيه: من أمثلة ذلك ترجيحه توجيه قول الله تعالى:

﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾[2]، بجعل (الواو) بمعنى (مع) إذ قال: ((قال الله تعالى:﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾[3]، والتقدير: (مع شركائكم)؛ لأنَّ العطف لا يصح ها هنا، وقال قوم: إنّه منصوب بإضمار فعل، كأنَّه قال: وأجمعوا شركاءَكم)، والأول أقوى....))[4]

ج. ترجيح عامل: من أمثلة ذلك ترجيحه كون العامل في التابع هو نفسه العامل في المتبوع حيث قال الدينوري: ((والعامل في التابع هو العامل في المتبوع وقال قوم: المتبوع والعامل فيه عاملان في التابع، والأول هو الصحيح وعليه الاعتماد))[5]

وقد تنوعت العبارات والألفاظ التي استعملها ابن هبة الله الدينوري في ترجيحه واختياره ومن هذه العبارات: (والوجه الصحيح)[6]، و(الصحيح ما يطابق الأصل المتقدَّم)[7]، و(الأول أصح وأقوى كما ذكرنا)[8]، و(وهو أقواها وأحسنها وأقيسها)[9]، و(أقواها وأفصحها)[10]، و(هذا أوضحها والمختار من بينها)[11]، و(أجودها وأرضاها)[12]، و(الأول هو الصحيح وعليه الاعتماد)[13]، و(الأول أقوى وأجود)[14]، و(القول الأول أصحها وأثبتها)[15]

المبحث الثاني
المذهب النحوي
لابن هبة الله الدينوري

مذهب ابن هبة الله الدينوري: من خلال التصفح والقراءة في كتاب (ثمار الصناعة في علم العربية) والوقوف على نصوص ابن هبة الله الدينوري فيه يمكن القول: إنَّ نحو وخصائص البصريين وأصول المذهب البصري هو السمة الغالبة عليه وهذا الأمر واضح جلي يعضده الأدلة الآتية:

أولاً –ـ موقفه في مسائل الخلاف النحوي:

ذكر الدينوري في كتابه (ثمار الصناعة في علم العربية) الكثير من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، ويتجلَّى موقفه منها بموافقة البصريين في

(١) ثمار الصناعة في علم العربية: ٣٨٥.
(٢) سورة يونس آية (٧١)
(٣) سورة يونس آية (٧١)
(٤) ثمار الصناعة في علم العربية: ٤١٧
(٥) م. ن:٤٥٣
(٦) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٨٠
(٧) ينظر: م. ن: ٢٩٨
(٨) ينظر: م. ن: ٣١٤
(٩) ينظر: م. ن: ٢٠١
(١٠) ينظر: م. ن: ٢٢٢
(١١) ينظر: م. ن: ٢٣٠
(١٢) ينظر: م. ن: ٢٤٩
(١٣) ينظر: م. ن: ٤٥٣
(١٤) ينظر: م. ن: ٤١١
(١٥) ينظر: م. ن: ٣٩٥

أكثر المسائل التي ذكرها، فنراهُ يصرَّح بموافقته لهم وترجيح رأيهم، وقد يوافقهم ويأخذ برأيهم دون التصريح بهم، ومن أمثلة ذلك حديثه عن الحروف غير العاملة وتصريحه بصحة مذهب البصريين في حروف التأنيث ذاكراً الدليل على صحَّة مذهبهم فقال: ((ومنها ثلاثة للتأنيث وهي (التاء) و (الألف المقصورة) و (الألف الممدودة)، فأمّا (الهاء) فليست منها، وإنَّما هي مبدلة في الأسماء من (التاء) في الوقف هذا مذهب البصريين وهو الصحيح، ومذهب الكوفيين عكس ذلك، والدليل على صحَّة مذهب البصريين: أنَّ بعض العرب يقف على (التاء) في الأسماء فيقول: (دخلت مكتْ) و (رأيت الكعبتْ)، وأنَّها في الأفعال ثابتة وصلاً ووقفاً، وكذلك في الأحرف الثلاثة المؤنثة وهي: (رُبَّ) و (ثُمَّ) و (لا)، يقال (رُبَّ) (رُبت) و(ثُمَّ) (ثُمت) و (لا) (لات))[1]

وقد يوافق البصريين ويقول بقولهم ويأخذ برأيهم ويرجِّحه دون التصريح بهم، ومن أمثلة ذلك ترجيحه لرأيهم في مسالة الضمير في (إياك) وأخواته إذ قال الدينوري: ((والكاف من (إياك) فيها خلاف، والصحيح أنها حرف خطاب))[2]

وما ذكره هنا ورجحه هو مذهب البصريين فهم يرون أنَّ (الكاف) حرف خطاب وما قبلها هو الضمير، أما الكوفيون فيرون أن (الكاف) هي الضمير وما قبلها عماد، وفي المسألة آراء أخرى للخليل والمبرِّد والزجاج وغيرهم من النحاة[3].

ومما يقوي ويدعم ما ذهبنا اليه من غلبة السمة والنزعة البصرية لدى الدينوري هو موافقته لأعلام الدرس البصري ويأتي سيبويه في مقدمة هؤلاء النحاة والاعلام الذين وافقهم الدينوري، ورجَّح أقواله في أغلب المسائل التي عرض لها في كتابه ومن أمثلة ترجيحه كلام سيبويه واعتماده ما ذكره في عمل (حتى) الجارة، إذ قال ((وفي (حتى) الجارة ثلاثة أقوال:

أحداهما: أن تعمل بنفسها وهو قول سيبويه،

والثاني: أن تعمل بإضمار (إلى) وهو قول الكسائي،

والثالث: أن تعمل بما فيها من معنى (إلى) وهو قول الفراء، والصحيح قول سيبويه، لأنها كما عطفت بنفسها جرّت بنفسها))[4]

وبالمقابل فإنَّ موقف الدينوري من الكوفيين يتمثَّل برد آرائهم وتضعيف مذهبهم ومخالفته في الكثير من المسائل الخلافية التي ذكرها وتناولها في كتابه من ذلك ردّه مذهب الكوفيين ورأيهم في إسمية (نعم وبئس) فقال: (والدليل) على أنَّ (نعم) و(بئس)

(١) ثمار الصناعة في علم العربية ١٧٩

(٢) ثمار الصناعة في علم العربية: ١٥٥

(٣) ينظر آراء النحاة في هذه المسالة في الكتاب ١/ ٢٧٩، ٢/ ٣٥٥-٣٥٦، ومعاني القرآن واعرابه للزجاج: ١/ ٤٤، والانصاف في مسائل الخلاف: م (٩٨): ٢/ ٦٩٥، وشرح التسهيل: ١/ ١٤١ وشرح كافية ابن الحاجب: ٣/ ٢٨، وشرح ابن طولون على ألفية ابن مالك: ١/ ١٠٥ الهامش.

(٤) ثمار الصناعة في علم العربية ٣٧٧

فعلان وليسا باسمين كما زعم الكوفيون: جواز اتصال تاء التأنيث الثابتة في الوقف بهما، ولا حجة لهم في دخول حرف الجر عليهما، لأنَّه حكاية))[1]

كما أنه رفض رأيهم دون التصريح بهم أو تسميتهم، حيث ذكر في حديثه عن أقسام (ما) العشرة ورفض رأيهم في كون (ما) نكرة فقال:((ومهيئة: وهي الداخلة على (رُبَّ) كقوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[2]، فـ(ما) هيأت (رُبَّ) وأعدته لأن يليه الفعل بعد أن كان مختصاً بالاسم، وزعم قومٌ أنَّ (ما) في هذه الآية اسم نكرة بمعنى (شيء) والجملة بعدها صفة لها، وقد غلطوا غلطاً فاحشاً ظاهراً إذ ليس في الجملة ضمير يرجع إلى (ما) فتكون في هذه الخمسة حرفاً))[3]

ثانياً/ موقفه من المصطلح النحوي:

المتتبع لكلام الدينوري في كتابه (ثمار الصناعة) يجد أنَّه قد أكثر من استعماله المصطلحات البصرية إذ استخدمها ووظَّفها في عرضه وتوضيحه، وكما هو معروف فإنَّ المصطلحات النحوية تنقسم على ثلاثة أنواع وهي:

(المصطلحات البصرية، والمصطلحات الكوفية، والمصطلحات المشتركة).

وقد استعمل الدينوري الأنواع الثلاثة من المصطلحات ولعل السبب يكمن في تعدُّد الموارد التي نقل عنها مادته ولا سيما كتب وأعلام الدرس النحوي البصري والكوفي، غير أنَّه أكثر من استعمال المصطلحات البصرية فجاءت مبثوثة في صفحات كتابه أكثر من غيرها، وفي هذا دلالة وإشارة واضحة على نزعته البصرية وغلبة المذهب البصري عنده.

وسأذكر بعض هذه المصطلحات التي استخدمها الدينوري بأنواعها الثلاثة مع بعض الأمثلة.

[١] المصطلحات البصرية:

ومنها: المضارع[4]، والضمير[5]، واسم الفاعل[6] والشأن والقصة[7]، والتعدِّي[8]، والظرف[9]، واسم الفعل[10]، والصفة[11]، والبدل[12]، والجر[13]، والتميز[14].

ومن الأمثلة على استعمال مصطلحات البصريين استعماله مصطلح (التمييز) إذ قال في تعريفه:

(١) ثمار الصناعة في علم العربية: ١٤٩
(٢) سورة الحجر: آية (٢)
(٣) ثمار الصناعة في علم العربية ١٨٦-١٨٧
(٤) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٥٥، والكتاب: ٣/ ٣٥
(٥) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ١٥٣، ١٥٤، والكتاب: ١/ ٧٨
(٦) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٥٧، ٣١٥، والكتاب: ١/ ١٣
(٧) ينظر: ثمار الصناعة: ٢٥٩، ٢٧٧، ٣٣٤، والكتاب: ١/ ٣٠٧، ٣٠٨،٣٠٩
(٨) ينظر: ثمار الصناعة: ١٦٥، والمقتضب، ٢/ ١٠٤
(٩) ينظر: ثمار الصناعة: ٢٥٤، ٢٥٦، ٥٠٠، والكتاب: ١/ ٢١٦
(١٠) ينظر: ثمار الصناعة: ٣٠٩، والمقتضب: ٣/ ٢٥
(١١) ينظر: ثمار الصناعة: ٢٥٦، ٤٦٣، والكتاب: ١/ ٢٢٧
(١٢) ينظر: ثمار الصناعة: ٤٧٣، والكتاب: ١/ ٧٨
(١٣) ينظر: ثمار الصناعة: ١٤٣، ١٨٤، ٣٥٩، والكتاب: ١/ ١٤
(١٤) ينظر: ثمار الصناعة: ٢٤٦، ٤٢١، والمقتضب: ٣/ ٣٢

((التمييز: تفسير المبهم من المقادير وغيرها))[1]

وكذلك استعماله مصطلح البدل اذ قال في مصطلح البدل: ((قد ذكرنا حدّ البدل على رأي الجماعة ورأي سيبويه.

فأمّا أقسامه فأربعة: بدل الكل من الكل، وبدل البعض من الكل، وبدل الاشتمال، وبدل الغلط))[2]

[٢] المصطلحات الكوفية:

منها: الخفض[3]، اسم الاشارة[4]، العماد[5]، عطف النسق[6]، مالم يسم فاعله[7]، المكني[8].

ومن أمثلة استعماله مصطلحات الكوفيين استعماله مصطلح ((عطف النسق) اذ قال ((عطف النسق: هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء في الإعراب والمعنى جميعاً، أو في الإعراب فقط بتوسُّط الحرف، وحروف النسق عشرة حسب ما أوجبه السماع وأدّى إليه الاستقراء))[9].

وكذلك استعماله مصطلح اسم الإشارة، إذ قال: ((المبهم: ما أشبه الظاهر من جهة وأشبه المضمر من أخرى فصار بينهما، وهي أسماء الإشارة...))[10].

قد يشير الدينوري الى مصطلح أحد الفريقين ويذكر ما يقابله من تسمية عند الفريق الآخر، من ذلك إشارته الى مصطلح (الجر)، اذ قال: ((و(الجر) من الفاظ البصريين، و(الخفض) من الفاظ الكوفيين، واختار البصريون لفظ الجر، لأنَّ حروف الجر تجر معاني الأفعال إلى الأسماء وتربطها بها))[11]

وكذلك إشارته إلى مصطلحي (المبهم واسم الإشارة)[12]

[٣] المصطلحات المشتركة:

ومنها: المبتدأ[13]، الخبر[14]، الفاعل[15]، المعرفة[16]،

(١) ثمار الصناعة في علم العربية: ٤٢١

(٢) م. ن: ٤٧٣

(٣) ينظر: م. ن: ٣٥٩، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٧،١٥٦،١٩٢

(٤) ينظر: ثمار الصناعة: ١٥٦، ٥٠٧، وإيضاح الوقف والابتداء: ١/ ١٣٨

(٥) ينظر: ثمار الصناعة: ١٧١، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٥١، ٥٢، ٢٤٨

(٦) ينظر: ثمار الصناعة: ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ومعاني القرآن للفراء: ٢/ ٢١٠

(٧) ثمار الصناعة في علم العربية: ٤٧٩

(٨) م. ن: ٤٥٩

(٩) م. ن: ٤٧٩

(١٠) م. ن: ١٥٦

(١١) م. ن: ٢٠١

(١٢) ينظر: م. ن: ١٥٦

(١٣) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، والكتاب: ١/ ٢٣، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٣٩٦، ٤٢٦

(١٤) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، والكتاب ١/ ٤٢٥، ومعاني القرآن للفراء، ١/ ٧٥، ١٧١

(١٥) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٧٦، والكتاب: ٣/ ٢٥، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٣٢، ١١٨

(١٦) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ١٥٧، ١٥٩، الكتاب ٢/ ٦، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٥٧، ٧٩

النكرة[١]، النعت[٢]، الإضافة[٣]، الاستثناء[٤]، التذكير[٥]، التأنيث[٦]، الاستفهام[٧]، الحال[٨]، التعجب[٩]، النداء[١٠]، الجزم[١١].

ومن أمثلة استعمال الدينوري المصطلحات المشتركة استعماله مصطلح (المبتدأ) إذ قال: ((من أحكام المبتدأ: فصل: يجب أن يعتبر من المبتدأ ستة أحكام لا يوجد منفكاً منها أو مما يرجع في المعنى إليها....))[١٢].

(١) ينظر: ثمار الصناعة: ١٥٧، ١٥٩، الكتاب ٢/ ٩، ومعاني القرآن للفراء ٢١/ ٥٥، ١٣٠

(٢) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ٤٦٣، والكتاب، ١/ ٤٢١، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٥٥، ٤٧١

(٣) ينظر: ثمار الصناعة في علم العربية: ١٥٩، ٢٩١، ٣٥٧، والكتاب: ١/ ١٢، ومعاني القرآن للفراء١/ ٢٥٤، ٣١٤

(٤) ينظر: ثمار الصناعة: ٤٢٩، والكتاب: ٢/ ١٨١، ومعاني القرآن للفراء، ١/ ١٦٧، ٢٨٣

(٥) ينظر: ثمار الصناعة: ٢٦٩، ٤٢٥، والكتاب: ٣/ ٢٤١، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٢١٠، ٢٢٨

(٦) ينظر: ثمار الصناعة: ٢٦٩، ٤٢٥، والكتاب: ١/ ٢٢، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٣٣، ٥٨

(٧) ينظر: ثمار الصناعة: ١٤٣، والكتاب: ٣/ ٧٩، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٢٣، ٤٦

(٨) ينظر: ثمار الصناعة: ٤١٩، والكتاب: ١/ ٢٨٨، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ١٩٣، ٣٠٢

(٩) ينظر: ثمار الصناعة: ٣٠١، والكتاب: ٢/ ٢١٧، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٢٣، ٢/ ٤١١

(١٠) ينظر: ثمار الصناعة: ٣٤٩، والكتاب: ٢/ ٦٦، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ١٢١، ١٨٠

(١١) نظر: ثمار الصناعة: ٢٤٦، والكتاب: ٣/ ٩، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٢٧، ٢٨

(١٢) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٥١

كذلك استعماله مصطلح (الخبر) إذ قال: ((من أحكام الخبر: فصل: خبر المبتدأ ضربان: مفرد وجملة، والمفرد الأصل، والجملة فرع عليه ونائبةُ عنه))[١٣]

وهكذا فيمكن القول: إنَّ الدينوري قد استعمل المصطلحات البصرية واكثر منها فكانت الأكثر على لسانه من المصطلحات الكوفية، وفي هذا دليل على تعزيز المذهب البصري والنزعة البصرية لديه.

ثالثاً ـــ عباراته وأقواله التي ذكرها في كتابه (ثمار الصناعة):

تؤكِّد وبوضوح نزعته البصرية ومذهبه البصري المتمثل بتبني آراء البصريين وترجيحها حتى أنَّه عَدَّ نفسه أحد البصريين مستخدماً العبارات الصريحة في هذا الاتجاه، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في باب النكرة والمعرفة وهو يتحدَّث عن الضمائر اذ قال الدينوري: ((وعلَّة أصحابنا أنَّ المضمَّر لا يوصف، لأنَّه لم يضمر إلاّ بعد أن عُرِف لتقدُّم ذكره، أو لدلالة الحال عليه، فاستغنى عن وصفه ولا يوصف به، لأنَّه ليس بمشتق ولا واقع موقع المشتق فاستحق أنْ يكون أولاً))[١٤].

ونراه كثيراً ما يستخدم عبارة (شيوخنا) ويقصد بها جمهور البصريين، ومن ذلك ما قاله متحدِّثاً عن ترتيب المعارف: ((والمعارف خمس: مضمر، وعلم، ومبهم، ومعرف باللام، ومضاف إلى واحد من هذه الأربع، وهذا هو الترتيب الصحيح المحمود عند

(١٣) م. ن: ٢٥٥.

(١٤) ()ثمار الصناعة في علم العربية: ١٥٨، ويقصد الدينوري بأصحابنا هنا البصريين.

شيوخنا، وقد رتَّبها قوم على خلاف هذا الترتيب))[1]

رابعاً/ موقفه من الأصول النحوية (السماع والقياس):

الدينوري في هذا كلِّه يسلك مسلك البصريين ويذهب مذهبهم كاشفاً عن نزعة ومذهب بصري لا يعبأ إلاّ بالمسموع الكثير شأنه شأن نحاة البصرة وعلمائها، فكثرة السماع أساس لديه لتأييد الآراء وترجيحها، حيث صرّح بوجب السماع والقياس على الكثير المطرّد في كلام العرب وإنَّ الشاذ أو النادر أو القليل لا يُعوَّل ولا يُعرّج عليه من ذلك ما ذكره في باب(نعم وبئس) وهو يتحدَّث عن أحوال الاسم المرتفع بـ(نعم وبئس) وتصريحه بأنَّ المسموع القليل الشاذ لا يُعرّج عليه فقال: ((والثاني: كقولك: (نعم وافد العشيرة زيد)، ولا يجوز ان يرتفع بهما مضاف إلى غير المذكور، فأمّا ما سمع من ذلك فشاذ لا يُعرّج عليه...))[2]

ومن ذلك أيضا ما ذكره من أنَّ القياس قد يوجب أمراً فيسمع خلافه فيكون ما أوجبه القياس شاذاً في محاولة منه تقديم السماع على القياس وهذا شأن البصريين اذا اجتمع سماع وقياس فيكون السماع مقدَّما ويتبعه القياس، قال الدينوري في باب (الجمع المُكسَّر): (وقد يستغنى بالقليل عن الكثير نحو: (رَسَن وأرسان)، ولا يُقال (رسون) وقد يستغنى بالكثير عن القليل نحو (جرح و جروح) ولا يقال (أجْراح) وكل هذا يوجبه القياس وقد يُسمع خلافه فيكون شاذاً))[3]

ويؤكد هذه الحقيقة بإشارته إلى ما يُسمع ولا يُقاس عليه بقوله في باب النسب: ((ومن النسب ما يسمع ولا يقاس عليه كقولهم: (رَوْحانّي، وجسمانّي، ورازيّ، ومروزيّ))[4]

ومن مظاهر ودلائل عنايته بالمسموع إشارته الى ما أوجبه السماع وأدّى اليه الاستقراء، حيث قال في باب (حروف العطف): ((وحروف النسق عشرة، حسب ما اوجبه السماع وادّى اليه الاستقراء، على أنَّ منها واحداً قد أُضيف إليها مجازاً وليس منها على الحقيقة، وهو:(إمّا المكرَّرة المكسورة الهمزة))[5].

خلاصة القول:

إنَّ ابن هبة الله الدينوري قد عوَّل على أُصول البصريين وسار على منهجهم في استعمال الأصلين(السماع والقياس)، صدر عن كل ما التزموا به في هذين الأصلين، يُضاف لذلك فإنَّ النزعة البصرية للدينوري تتمَّثل في استخدامه المصطلحات البصرية والإكثار منها كما أنّه وافق البصريين في أكثر المسائل الخلافية التي عرض لها في كتابه (ثمار الصناعة) وصرّح

(١) م.ن: ١٥٧، والترتيب الذي ذكره الدينوري هو ترتيب البصريين. وفي ترتيب المعارف خلاف ذُكر في: الانصاف م(١٠١): ٢/ ٧٠٧، وشرح كافية ابن الحاجب: ١/ ٣١٢

(٢) ثمار الصناعة في علم العربية: ٢٩٠

(٣) م. ن: ٤٩٥، وينظر: أيضا رأي الفارسي في التكملة: ١٤٨-١٥٤

(٤) م. ن: ٥١١

(٥) م. ن: ٤٧٩

بالبصريين وجعل نفسه بصرياً بعبارات أطلقها قاصداً بها البصريين ومنها (أصحابنا) و(عندنا) و(شيوخنا) وغيرها من العبارات التي أطلقها وتوكِّد بصريته كما رأينا في هذه الدراسة.

الخاتمة

في ختام هذه الرحلة مع ابن هبة الله الدينوري وكتابه ثمار الصناعة في علم العربية نُبيِّن أهم ما توصَّلت إليه هذه الدراسة من نتائج وهي:

اولاً/ لكتاب ثمار الصناعة في علم العربية الأثر الواضح في الدراسات النحوية لما ضمَّ من مادة نحوية وصرفية ولغوية، أثرَّت الدرس النحوي بالآراء والتحليلات والتوجيهات الخاصة بالدينوري.

ثانياً/ غلب على الكتاب الأسلوب التعليمي إذ جعله الدينوري أساساً في منهجه للتوضيح والتعليق وبسط الآراء النحوية والصرفية واللغوية التي يريد طرحها، وهو أسلوب متبع في معظم المصنَّفات.

ثالثاً/ يُعُّد كتاب ثمار الصناعة في علم العربية مصدراً مهماً من المصادر التي ضمت عدداً كبيراً من المسائل الخلافية، وقد كشفت هذه الدراسة أنَّ موقف الدينوري من مسائل الخلاف النحوي تظهر وبوضوح ميله الشديد للمذهب البصري، فهو يوافق البصريين في معظم ما ذهبوا إليه.

رابعاً/ بحثت الدراسة شخصية الدينوري العلمية والنحوية في الكتاب، فوجدته نحوياً ذا قدم راسخة في عرضه للمسائل النحوية ومناقشته إياها وإظهاره ردوداً واستدراكات وترجيحات وتوضيحات تستند إلى براهين وأدلة ثابتة.

خامساً/ ترك كتاب الدينوري أثراً واضحاً ومهماً في مؤلَّفات ومصنَّفات اللاحقين تمثل في كثرة الاعتماد عليه والنقل منه والاعتماد عليه كمصدر من المصادر النحوية.

سادساً/ كشفت الدراسة عن الجديد الذي أضافه الدينوري إلى الدرس النحوي ويتمَّثل هذا الجديد بمصطلحات نحوية جديدة خاصة بالدينوري استعملها وذكرها في كتابه بالإضافة إلى الكثير من المعاني اللغوية الجديدة الخاصة بالأدوات والحروف واستعمالها وتعليقه على الأبيات الشعرية مصرِّحا بأنَّه لم يسبق بمن علق عليها.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ائتلاف النُصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تأليف عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت ٨٠٢هـ)، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، ط١، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢. اسرار العربية: تاليف الامام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري ت(٥٧٧هـ) عني بتحقيقه: محمد بهجة البيطار وعاصم بهجة البيطار ط٢، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع،

دمشق ـ سوريا، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣. الأمالي الشجرية، تأليف أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، د.ط، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د.ت.

٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تأليف: الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٥٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.

٥. الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط١، مطبعة دار التاليف، مصر، ١٣٨٩هـ.

٦. الإيضاح في علل النحو، تأليف: أبي القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق الدكتور: مازن المبارك، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م- ١٤٢٥م.

٨. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ)، ط١، الناشر دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٩. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تأليف أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٠. توجيه اللمع: شرح كتاب اللمع: تأليف أحمد بن الحسين بن الخباز (ت ٦٣٩هـ)، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١١. توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، تأليف: بدر الدين الحسن بن أم قاسم المرادي المعروف بابن ام قاسم (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز، ط١، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٢. ثمار الصناعة في علم العربية، تأليف أبي عبدالله الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري، من علماء القرن الخامس الهجري، تحقيق:د. محمد بن خالد الفاضل، ط١، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٣. ديوان المتنبي، بشرح العكبري، تحقيق: السقا والأبياري وشلبي، د.ت.

١٤. شرح ابن طولون على الفية ابن مالك، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن طولون (ت ٩٥٣هـ)، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد جاسم محمد الفياض الكبيسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٥. شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تأليف: جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد

الله بن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.

١٦. شرح كافية ابن الحاجب: تأليف رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي (ت ٦٨٦هـ)، قدَّم له ووضع حواشيه الدكتور أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٧. شرح الكافية الشافية: تأليف الإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٨. شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، تأليف أبي محمد عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، دراسة وتحقيق: د. هادي نهر، طبع بمطابع الجامعة ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م.

١٩. شرح المفصل، تأليف: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٢٠. الكتاب (كتاب سيبويه)، تأليف أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني والمعروف بحاجي خليفة (١٠٦٧هـ) دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٢. معاني القرآن وإعرابه: تأليف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبي اسحاق الزجاج ت (٣١١هـ) ط١، عالم الكتب، بيروت البنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣. معاني القرآن: تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر،د.ت.

٢٤. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحالة، د.ط، مكتبة المثنى (بيروت) ودار إحياء التراث العربي(بيروت)د.ت.

٢٥. المقتصد في شرح الإيضاح: تأليف عبد القاهر أبي بكر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، د.ط، دار الرشيد للنشر العراق، والمطبعة الوطنية، عمان- الأردن، ١٩٨٢م.

٢٦. المقتضب، تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبَّرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٢٧. الموسوعة الميسرة في تراجم ائمة التفسير والاقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد وليد بن احمد الحسين وآخرين، سلسلة إصدارات الحكمة ١٥، ط١، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م.

٢٨. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، دار

الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٢٩. الأصول في النحو، تأليف: أبي بكر محمد بن سهل بن السرّاج البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان في النجف، ١٣٩٣هـ.
٣٠. التكملة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط١، الناشر جامعة الرياض، ١٤٠١هـ.
٣١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر.